



قفـص الطـيـران الأـرـدـنـيـ أـوـاـلـ فـبـراـيـرـ شـبـاطـ الـحـالـيـ، وـلـأـولـ مـرـةـ مـنـذـ سـنـةـ تـقـرـيـباـ، مـوـاـقـعـ لـتـنـظـيمـ دـاعـشـ فـيـ جـنـوبـ سـوـرـيـةـ، بـالـتـزـامـنـ مـعـ شـيـوـعـ أـبـاءـ عـنـ تـفـكـيرـ عـمـانـ بـعـمـلـيـةـ درـعـ فـرـاتـ أـرـدـنـيـةـ، فـيـ الـمـنـطـقـةـ نـفـسـهـاـ، وـقـدـ حـصـلـ هـذـاـ بـعـدـ أـيـامـ قـلـيـلةـ مـنـ زـيـارـةـ العـاـهـلـ الـأـرـدـنـيـ، الـمـلـكـ عـبـدـ اللـهـ الثـانـيـ، لـمـوـسـكـوـ وـوـاشـنـطـنـ. وـقـدـ سـمـعـ كـلـامـاـ مـهـماـ مـنـ الـقـيـادـةـ الـرـوـسـيـةـ عـنـ تـوـجـهـاتـ سـيـاسـاتـهـاـ وـخـلـافـاتـهـاـ مـعـ طـهـرـانـ وـحـشـودـهـاـ الشـعـبـيـةـ فـيـ سـوـرـيـةـ.

لـمـاـ تـغـيـرـ، أـوـ بـالـأـحـرـىـ تـطـورـ، المـوـقـفـ الـأـرـدـنـيـ؟ـ وـمـاـ عـلـاقـةـ ذـلـكـ، لـيـسـ فـقـطـ بـجـوـلـةـ الـمـلـكـ الـخـارـجـيـةـ، وـإـنـماـ بـالـمـتـغـيـرـاتـ وـالـتـطـورـاتـ فـيـ سـوـرـيـةـ، كـمـاـ فـيـ وـاـشـنـطـنـ بـعـدـ تـسـلـمـ الرـئـيـسـ الـمـنـتـخـبـ مـقـالـيدـ السـلـطـةـ مـنـذـ أـرـبـعـةـ أـسـابـيعـ تـقـرـيـباـ؟ـ لـاـ شـكـ فـيـ أـنـ الـأـرـدـنـ فـكـرـ، مـنـذـ فـرـتـةـ طـوـيـلـةـ، فـيـ تـنـفـيـذـ عـمـلـيـةـ عـسـكـرـيـةـ عـلـىـ غـرـارـ "ـدـرـعـ فـرـاتـ"ـ فـيـ مـنـاطـقـ الـجـنـوبـ، بـالـتـعـاـونـ أـوـ بـالـاعـتـمـادـ عـلـىـ جـيـشـ الـحـرـ لـمـوـاجـهـةـ تـنـظـيمـ دـاعـشـ، وـمـنـعـهـ مـنـ تـهـيـيدـ الـأـمـنـ الـأـرـدـنـيـ، كـمـاـ لـإـقـامـةـ مـنـطـقـةـ آـمـنـةـ لـاستـيـعـابـ الـلـاجـئـينـ، وـلـتـكـرـيـسـ دـورـ الـأـرـدـنـ فـيـ الـقـضـيـةـ الـسـوـرـيـةـ وـتـسـرـيـعـ فـرـصـةـ التـوـصـلـ إـلـىـ حلـ سـيـاسـيـ عـادـلـ لـلـقـضـيـةـ الـسـوـرـيـةـ، وـفـقـ إـعـلـانـ جـنـيفـ نـصـاـ وـرـوـحـاـ.ـ غـيـرـ أـنـ الـأـرـدـنـ لـاـ يـمـلـكـ مـقـدـرـاتـ تـرـكـياـ وـقـوـتهاـ، لـكـيـ يـقـومـ مـنـفـرـداـ بـتـنـفـيـذـ عـمـلـيـةـ عـسـكـرـيـةـ وـدـعـمـهاـ، وـإـقـامـةـ مـنـطـقـةـ آـمـنـةـ أـوـ عـازـلـةـ، وـلـتـكـرـيـسـ دـورـهـ سـوـرـيـاـ رـغـمـاـ عـنـ وـاـشـنـطـنـ أـوـ وضعـهاـ تـحـتـ الـأـمـرـ الـوـاـقـعـ، وـهـوـ بـالـمـنـاسـبـةـ مـاـ فـعـلـهـ السـعـودـيـةـ فـيـ عـمـلـيـةـ "ـعـاصـفـةـ الـحـزمـ"ـ فـيـ الـيـمـنـ، وـعـنـدـمـاـ دـافـعـتـ عـنـ أـمـنـهاـ وـمـصـالـحـهاـ، رـغـمـاـ عـنـ إـدـارـةـ أـوـيـامـاـ وـمـوـاقـفـهاـ الـمـتـنـاغـمـةـ مـعـ طـهـرـانـ وـحـشـودـهـاـ الشـعـبـيـةـ فـيـ طـوـلـ الـمـنـطـقـةـ وـعـرـضـهاـ.

إـلـىـ ذـلـكـ، فـإـنـ الـقـيـامـ بـعـمـلـيـةـ عـلـىـ غـرـارـ "ـدـرـعـ فـرـاتـ"ـ لـاـ يـقـضـيـ قـوـةـ سـيـاسـيـةـ وـعـسـكـرـيـةـ فـقـطـ، وـإـنـماـ اـقـتصـاديـةـ أـيـضاـ لـجـهـةـ إـلـشـرـافـ عـلـىـ مـنـاحـيـ الـحـيـاةـ الـمـخـتـلـفةـ فـيـ الـمـنـاطـقـ الـتـيـ يـتـمـ طـرـدـ "ـدـاعـشـ"ـ مـنـهـاـ، وـتـأـسـيـسـ بـنـىـ تـحـيـةـ جـديـةـ وـمـحـترـمـةـ فـيـ السـيـاقـ الـاـقـتصـاديـ الـاجـتمـاعـيـ الـتـعـلـيـمـيـ الصـحـيـ الـأـمـنـيـ تـمـاماـ، كـمـاـ فـعـلـتـ وـتـفـعـلـ تـرـكـياـ فـيـ الـمـنـاطـقـ "ـدـرـعـ فـرـاتـ"ـ، وـهـوـ مـاـ يـعـرـفـ بـنـمـوذـجـ جـرـاـيلـسـ، حـيـثـ لـاـ يـتـمـ تـدـمـيرـ الـمـدـنـ وـالـقـرـىـ، بـلـ تـعـمـيرـهـاـ، وـلـاـ يـتـمـ تـهـجـيرـ أـهـلـهـاـ وـالـمـوـاطـنـينـ، بـلـ إـعادـهـمـ إـلـيـهـاـ.

تـبـدوـ الـأـمـورـ وـالـمـعـطـيـاتـ، الـآنـ، مـخـتـلـفـةـ فـيـ وـاـشـنـطـنـ وـمـوـسـكـوـ عـلـىـ حـدـ سـوـاءـ، عـلـمـاـ بـأـنـهـ عـلـىـ عـكـسـ مـاـ يـبـدوـ ظـاهـرـاـ وـشـكـلـاـ فـقـطـ، كـانـتـ وـاـشـنـطـنـ، وـمـاـ زـالـتـ، الـلـاـعـبـ الرـئـيـسيـ فـيـ الـقـضـيـةـ الـسـوـرـيـةـ، بـغـلـهـاـ أـوـ سـكـونـهاـ، وـتـغـاضـيـهـاـ عـنـ أـفـعـالـ الـآـخـرـينـ وـمـارـسـاـتـهـمـ، بـضـوءـ أـخـضـرـ أـوـ بـرـتـقـالـيـ مـنـهـاـ، تـمـاماـ كـمـاـ حـصـلـ مـعـ مـوـسـكـوـ وـطـهـرـانـ.

رفضت واشنطن القديمة فكرة المنطقة الآمنة، أو أي انخراط أردني جدي في القضية السورية، بسبب سياسة أوباما المنكفة عن المنطقة، واتباع واشنطن سياسة مهادنة لإيران، ومتغاضية عن نشاطها وسلوكها في المنطقة عموماً، وسوريا والعراق تحديداً، طالما أنه لا يتعذر الخطوط الحمر المرسومة أميركياً، ويندرج ضمن الصفقة الشاملة التي أبرمها أوباما مع طهران عبر الاتفاق النووي، والتي تخلت طهران بمحاجتها عن مشروعها النووي في مقابل امبراطوريتها الشوفينية، امبراطورية الدم والوهم، كما قال يونس خالصي، مستشار الرئيس الإيراني مرة عن المنطقة. ومع ذلك، جرى دعم الأردن وتحصينه سياسياً عسكرياً اقتصادياً وأمنياً، وبذلت جهود أميركية جدية لحمايته وتقليل الآثار السلبية لمعادلة "الأسد أو نحرق سورية" التي تم تحديها من حلفاء النظام، لتصبح "الأسد أو نحرق المنطقة".

التدخل أو الاحتلال الروسي لسوريا في سبتمبر/أيلول العام قبل الماضي تضمن تفاهماً غير معلن مع الأردن، لحظ عدم اتباع موسكو الخيار الشيشاني في المنطقة الجنوبية، بما يراكم مزيداً من الأعباء على الأردن، أمنياً واقتصادياً واجتماعياً، مع موجات كثيفة أخرى من النزوح واللاجئين، في مقابل تهدئة الجبهة، والحفاظ على خطوط القتال، كما كانت قبل التدخل الروسي.

تغيرت الأمور، الآن، بشكل جذري تقريباً من واشنطن وموسكو على حد سواء، فواشنطن تريد الانخراط أكثر في سوريا، للتأثير على التسوية السياسية فيها، كما لمواجهة المدّ الإيراني، وتحفيظ أضرار الكارثية لاتفاق أوباما معها، و لزيادة إمكاناتها وقدراتها في مواجهة "داعش". يعتقد المتذبذبون في إدارة ترامب أنه لا إمكانية لهزيمة "داعش"، من دون انخراط أكثر فاعلية في القضية السورية، ومن دون تحجيم إيران، وأدواتها وحشودها الشعبية في طول المنطقة وعرضها.

أما موسكو فتريد أيضاً تسوية سياسية على أساس مصالحها، وما فرضته من وقائع بعد تدخلها الاحتلالي، وهي فهمت طبعاً أن من المستحيل تعميم الخيار الشيشاني على كامل الأراضي السورية، وبعد ما اعتقدت أنها حصلت على علامة انتصارٍ إثر تدمير حلب، تريد العمل الآن باتجاه تسوية مناسبة، وتعتقد أن وجود الأردن ضروري لعوامل جيوسياسية، ولاستغلال نفوذه وعلاقاته في المنطقة الجنوبية من سوريا، وربما هي تعتقد أيضاً أن الأردن لن يطرح مطالب كثيرة أو معقدة أو يفاوض، ويناقش موسكو على الخطة نفسها، وليس فقط تنفيذ دوره فيها، وفق السيناريو المرسوم روسيأ.

في كل الأحوال، سيسعى الأردن إلى أن يكون لاعباً مهماً في القضية السورية، سيتساوق مع السياسة الأميركي الجديدة. ومع تسامي خطر "داعش" على الأمن الوطني، وتزايد عملياته في العمق الأردني في الفترة الأخيرة، ستكون عمان متحمسة لفكرة نقل المعركة إلى عمق مناطق سيطرة التنظيم في الأراضي السورية، وهذا لن يحدث في الفراغ، وإنما ضمن بيئة سياسية أمنية، تتعلق بالاعتماد على الجيش الحر، وربما وجود على الأرض للقوات الخاصة الأردنية، مع دعم سياسي وأمني وجوي من التحالف الدولي الذي تقوده واشنطن.

لن تمانع روسيا، هي الأخرى، أي دور نشط للأردن، طالما أنه سيركز على مقاتلة "داعش"، ولن يهدّد النظام بشكل مباشر، أو يعرقل الخطوط العامة للتسوية السياسية التي تحاول موسكو رسمها، وفرضها على الفرقاء الآخرين، غير أن انخراطاً جدياً لواشنطن في القضية السورية، وتمتين تحالفها وتعاونها مع أنقرة والرياض والدوحة في مواجهة "داعش"، والضغط باتجاه تسوية سياسية عادلة، وفق إعلان جنيف وقرارات الأمم المتحدة ذات الصلة، فستكون عمان حتماً عندئذ أقرب إلى هذا الفريق، وستمتلك القدرة على مناقشة موسكو في المحددات والقواعد التي سعت وتسعى إلى فرضها في سوريا، كما أن موسكو ستكون هي نفسها مضطرة لمراجعة سياساتها وحمايتها النظام ومهادنتها المليشيات الأجنبية المدعومة من طهران، وممارساتها المؤذية والضاربة في سوريا والمنطقة بشكل عام، علمًا بأن الملك عبدالله الثاني سمع في موسكو كلاماً من هذا

القبيل.

العربي الجديد

المصادر: